

التأثيرات الكلاسيكية فى تصوير الصحراء الليبية بملحمة "الحرب الأهلية" للشاعر لوكانوس

د. صلاح السيد عبد الحى
كلية الآداب - جامعة سوهاج

يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر الكتابات الكلاسيكية فى تصوير لوكانوس للصحراء الليبية، ذلك الوصف الذى أتى به فى الكتاب التاسع من ملحمة "الحرب الأهلية Billum Civile". ولتحقيق هذا الهدف فسوف يستخدم الباحث المنهج التحليلى المقارن للوقوف على حقيقة ما نقله لوكانوس من وصف أو لغة عن السابقين عليه وكذلك ما أضافه من وصف للصحراء الليبية.

بداية، يمكن القول إن الكاتب الملحمى الرومانى ماركوس أنايوس لوكانوس Marcus Annaeus Lucanus (٣٩-٦٥ م) قد أعاد صياغة الحدث التاريخى لعبور ماركوس بوركيوس كاتو Marchus Porcius Cato (٩٥-٤٦ ق.م) الصحراء الليبية عام ٤٨ ق.م، ذلك القائد العسكرى الذى أراد الوصول إلى قوات جنايوس بومبيوس ماجنوس Gnaeus Pompeius Magnus فى تونس، تلك القوات التى فقدت الأمل فى النصر أمام يوليوس قيصر Gaius Julius Caesar بعد مقتل قائدها^(١).

¹ - Sanford E. M., "Lucan and Civil War", *CPh.*, Vol. 28, No. 2 (Apr. 1933), p. 121; Griffin M. T., "Seneca on Cato's Politics: Epistle 14. 12-13", *CQ.*, Vol. 18, No. 2 (Nov. 1968), p. 373.

بعد هزيمة بومبيوس فى "فارساليا" Pharsalia عام ٤٨ ق.م، أثناء الحرب الأهلية الرومانية (٤٩-٤٤ ق.م) فقد هرب إلى مصر وقُتِلَ هناك، مما اضطر كاتو إلى عبور الصحراء الليبية عام ٤٨ ق.م. كى ينضم إلى قوات ميتيلوس سكيبيو Metellus Scipio المرابطة فى أفريقيا من أجل مناصرة الجمهورية الرومانية والدفاع عنها، ومن أجل رفع روح جنود = = بومبيوس

التأثيرات الكلاسيكية في تصوير الصحراء الليبية

وقد سبق وتناول العديد من الكُتَّاب اليونان والرومان، من أمثال الجغرافي اليوناني استرابون (63 ق.م-23م) في مؤلفه "موضوعات جغرافية Γεωγραφικα"، والمؤرخ الروماني تيتيوس ليفيوس T. Livius (59 ق.م-17م) في الكتب من 109 إلى 116 بمؤلفه "منذ تاريخ تأسيس المدينة Ab Urbe Condita"، والمؤرخ الروماني ماركوس فليوس باتركولوس Marcus Velleius Paterculus (19 ق.م-31م) في مؤلفه "Res Gestae Divi Augusti"، والفيلسوف الرواقي الروماني لوكيوس أنايوس سينيكا L. Annaeus Seneca (4 ق.م-65م) في رسائله "epistolae"، هذا الحدث حتى صارت كتاباتهم مصدرا ومعينا لمن أتى بعدهم، وكان لوكانوس من بين هؤلاء الذين طالعوا تلك المصادر فأعانتته على كتابة ملحمة "الحرب الأهلية" والتي كان كاتو من بين أبطالها وعبوره الصحراء الليبية من بين أحداثها⁽²⁾.

وإلى جانب أعمال هؤلاء الكُتَّاب سالفى الذكر، يوجد ثلاثة مصادر أخرى، ذات قيمة وأهمية تاريخية وأدبية وأسطورية، اعتمد عليها لوكانوس، وإن لم تتحدث هذه المصادر عن الحرب الأهلية أو شخصية كاتو نفسه إلا أن أحداثها وأبطالها كان لها عظيم الأثر عند تناوله لواقعة عبور كاتو الصحراء ومواجهة ما بها من مهالك

المعنوية هناك وحثهم على الاستمرار في حربهم التي يخوضونها دفاعاً عن حريتهم، والتي سلبها قيصر منهم بطغيانه واستبداده. /نظر:

توريرت مصطفى: "الحرب الأهلية الثانية (49-44 ق.م) وانعكاساتها على نوميديا"، مجلة

المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد رقم 2،

ديسمبر 2017، جامعة معسكر، الجزائر، ص 244.

² - Keblic R. B., "Lucan's Snake Episode (IX. 587-937) : A Historical Model", *Latomus*, T. 35, Fasc. 2 (AVRIL-JUIN 1976), p. 380.

وأخطار. وهذه المصادر هي: تدوينات بطليموس سوتير Πτολεμαίος Σωτήρ (367-283 ق.م) التاريخية، عن صعاب وأهوال رحلة الإسكندر الأكبر إلى واحة سيوه Siwah⁽³⁾. وملحمة "رحلة السفينة أرجو Ἀργοναυτικά"، والتي كتبها أبولونيوس الرودي Ἀπολλωνίος Ρόδιος (295-؟ ق.م)، حول معاناة بحارة السفينة في ليبيا، حيث معاناتهم الحر والعطش والثعابين القاتلة بالرمال الممتدة هناك. هذا إلى جانب تأثره بأسطورة مواجهة بيرسيوس Περσεύς للجورجونة ميدوسا Μέδουσα في ليبيا، وكذا تأثره بكل الأساطير التي وردت عن ثعابين وطيور رحلة الإسكندر عبر صحراء ليبيا⁽⁴⁾. وبالطبع هذا فضلا عما ذكره الأدباء الرومان من أمثال كل من: فرجيليوس وأوفيدوس وسينيكا الأصغر وفاليريوس فلاكوس وآخرين عن مواجهات ومغامرات هراقليس مع وحوش وثعابين بالصحراء⁽⁵⁾.

وفي شأن فرجيليوس نجد أنه وقد ملأ الصحراء الليبية بالكثير من المهالك والمخاطر في ملحمة "الإنبيادة Aeneis"، ومن أمثلة ما أورده نجد الكتاب الأول

³ - كان نيارخوس Nearchus (360-300 ق.م) من أهم المصادر التي تحدثت عن سيرة الإسكندر وفتوحاته، خاصة وأنه كان أحد قادة الجيش والمرافقين له في حملاته وغزواته، وكان هو الوحيد الذي كتب تاريخ الإسكندر أثناء حياته، ولكن بكل أسف فقد تاريخه كما فقد التاريخ الذي كتبه بطليموس سوتير و كليتارخوس Cleitarchos (اشتهر في منتصف القرن الرابع ق.م). انظر:

Makowski J. F., "Oracula Mortis in the Pharsalia", *CPh.*, Vol. 72, No. 3 (Jul., 1977), p. 201, Note 20.

⁴ - Maes Y., "One but not the Same? Cato and Alexander in Lucan's "Pharsalia" 9, 493-618 (and Caesar too)", *Latomus*, T. 68, Fasc. 3 (September 2009), p. 657-658; Leigh M., "Lucan and the Libyan Tale", *JRS*, Vol. 90 (2000), p. 108.

⁵ - Bassett E. L., "Regulus and the Serpent in the Punica", *CPh.*, Vol. 50, No. 1 (Jan. 1955), p. 1; Huber M., *The Eleventh Labor: The Apples of the Hesperides, Chapter 11 in Mythematics: Solving the Twelve Labors of Hercules*, Princeton University Press. (2009), p. 118, 120.

التأثيرات الكلاسيكية في تصوير الصحراء الليبية

بيت ٣٨٤ وقد قال: "عندما كنت أعبّر الصحراء الليبية فقد كنت مجهولاً وفي شدة الاحتياج" " ipse ignotus, egens, Libyae deserta peragro, " فهذا يتحدث بطل الإنيادة عن حالته أثناء عبوره الصحر الليبية من جهل الناس به وبأنه كان في شدة الاحتياج للمؤن من طعام وشراب كي يتزود بهما ويستكمل رحلاته. بينما كان سينيكا أول من أشار إلى نقص المؤن في الصحراء والشعور بالعطش ودرجة الحرارة، وقد عرض ذلك في رسائله "epistulae"، عندما تحدث فيها عن معاناة رجولوس Regulus وصراعه مع الثعابين أثناء سيره بالصحراء^(٦).

وقد تشابهت أهمية وقيمة كتابات كل من المؤرخ اليوناني ديودوروس الصقلي Διοδωρος Σικελιωτης (٩٠-٣٠ ق.م)، وبطلميوس سوتير، في اعتماد لوكانوس عليهما عند وصف المعاناة بالصحراء، وتحديد المدة الزمنية التي استغرقت لعبورها. فقد وصف ديودوروس عبور أوفيلّاس Ophellas (٣٥٠-٣٠٠ ق.م) حاكم قوريني، للصحراء الليبية معاناته هناك، مما كان لهذا الوصف عظيم الأثر في وصف لوكانوس لمعاناة كاتو والصعاب التي واجهته أثناء عبور الصحراء نفسها^(٧)، خاصة وأن كلا البطلان، أوفيلّاس و كاتو، قد مرا بالمنطقة الجغرافية نفسها، وواجهوا الزواحف القاتلة هناك، وعان كلاهما نقص مياه الشرب والطعام واستغرق عبورهما لتلك الصحراء مدة الشهرين، ولكنهما اختلفا في تحديد بداية عبورهما؛ حيث بدأ كاتو

⁶ - Seneca: *Epistulae. LXXXII. 24.*

⁷ - Leigh M., *Op. Cit.*, p. 96-97, Note 17; Kebric R. B., *Op. Cit.*, P. 381.

كان أوفيلّاس (٣٥٠-٣٠٠ ق.م) جندي وقائد مقدوني وأحد الأصدقاء المقربين للإسكندر الأكبر أثناء حملته على الشرق، وقد تم تعيينه حاكماً على قوريني في عهد البطالمة.

صلاح السيد عبد الحي

عبوره في فصل الخريف، في حين كان منتصف فصل الصيف هو بداية عبور أوفيلّاس^(٨).

ورغم اتفاق لوكانوس مع ديودوروس، في تحديد مدة الشهرين لعبور الصحراء، إلا أنه اختلف مع استرابون هذا الذي قال بأن اجتيازها استغرق ثلاثين يوماً "τριακοσταῖς ημερῶν περιώδευσεν"^(٩)، ولم يشر استرابون أيضاً إلى مكوث كاتو في ليبيا لفترة من الوقت، ذلك المكوث الذي أشار إليه لوكانوس في البيتين (٩٤٨-٩٤٩)، وقال بأن كاتو قد مكث في ليدة Leptis بعض الوقت حتى الشتاء "exegere hiemem nimbis flammisque carentem".

وبقراءة متأنية لما أورده ديودوروس، يتضح أنه قد اعتمد في تصويره لمعانا أوفيلّاس بالصحراء على ما قد سبق وذكره المؤرخ دوريس الساموسي Δοῦρις ὁ Σάμιος (٣٣٠-٢٦٠ ق.م تقريباً) عن عبور أوفيلّاس واجتياز الصحراء الليبية، ومن ثم فقد كان دوريس المصدر الأول لكل من ديودوروس و لوكانوس، وإن نقل عنه الأول قصة أوفيلّاس، في حين نقل الثاني درامية التاريخ والحدث^(١٠).

إن الحديث عن عبور الصحراء ووصف ما بها من مخاطر ومهالك، يستدعي على الفور العبور الشهير للقائد المقدوني الإسكندر الأكبر، وزيارته إلى معبد أمون

⁸ - Kebric R. B., Op. Cit., p. 381; Cf., Luc. BC., IX, 940-941; Cf., D.S., XX.42.1-2.

⁹ - Strab., Geog. I7.3.20

¹⁰ - Kebric R. B., Op. Cit., P. 382; Leigh M., Op. Cit., p. 97; Maes Y., Op. Cit., p. 665. Note: 22; Cf., D.S., XX. 42. 2; Luc., BC., IX. 940-941.

كان المؤرخ اليوناني دوريس الساموسي حاكماً مستبد في جزيرته ساموس، وقد كتب أعمالاً تاريخية هامة، جعلت منه أهم مصدر للتاريخ المقدوني، بداية من فيليب المقدوني وحتى البطالمة.

التأثيرات الكلاسيكية فى تصوير الصحراء الليبية

فى واحة سيوه بالصحراء⁽¹¹⁾، تلك الصحراء التى سبق وقال عنها هوميروس
Θμηρος فى ملحمة الأوديسيا Οδύσσεια على لسان الملك مينيلوس
:Μενέλαος

καὶ Λιβύην, ἵνα τ' ἄρνες ἄφαρ κεραοὶ τελέθουσι.
τρὶς γὰρ τίκτει μῆλα τελεσφόρον εἰς ἐνιαυτόν·
ἐνθα μὲν οὐτε ἄναξ ἐπιδευῆς οὐτε τι ποιμῆν
τυροῦ καὶ κρειῶν οὐδὲ γλυκεροῖο γάλακτος,
ἀλλ' αἰεὶ παρέχουσιν ἐπηετανὸν γάλα θῆσθαι.
(Hom. Od., IV. 85-90)

"و-أتيت- إلى ليبيا، حيث الحملان لها قرون منذ مولدها دائما.

¹¹ - Malamud M., "Pompey's Head and Cato's Snakes", *CPh.*, Vol. 98, No. 1 (January 2003), p. 39.

واجه العديد من أبطال الأعمال الأدبية الكلاسيكية زواحف وثعابين ليبيا، من أمثال: هراقليس

و"بحارة السفينة أرجو" عند أبوللونوس الرودى (انظر: A. R., Arg., IV. 1228-1536)،

و ديونوسوس Dionysus Scytobrachion FGH 32 F 8, D.S., III.72.2-)

(3) فيما ورد من شذرات، و أوفيلاس القورينى عند ديودوروس الصقلى (D.S., XX. 42. I-)

(2) والقائد الرومانى رجولوس الذى ذبح ثعبانا ضخما بالقرب من نهر باجرادا (Tubero fr.)

8 (Peter); Gell., NA 7.3; Liv., Per. i8; Val. Max. i.8. ext. i; Plin., HN 8.37;

Sen., Ep. 82.24; Dio Cass. fr. 43.23; Flor. I.18.20; Sil., Pun. 6.140- 293; Oros.

4.8-IO-15. كما رود بالكثير من المصادر، وكان هناك أيضاً القائد الرومانى جايوس

ماريوس G. Marius الذى واجه زواحف شرسة فى طريقه إلى كابسا Capsa فى نوميديا،

وهى الجزائر حالياً (Sall., Jug. 89.5). انظر:

Long A., "Lucan and Moral Luck", *CQ.*, Vol. 57, No. 1 (May. 2007), p. 190;

Kebric R. B., Op. Cit., p. 381.

إن الصحراء الليبية عند هوميروس مثلها مثل جزيرة بوليفيموس Πολύφημος والحقول

الإليوسية التى تنسم بالغرابة والإثارة وابتعادها عن العادات البشرية المألوفة. انظر:

Margo Kitts, "Two Expressions for Human Mortality in the Epics of Homer",
History of Religions, Vol. 34, No. 2 (Nov. 1994), p 146.

وتضع العنزات حملها ثلاث مرات كل سنة.

ولا يحتاج هناك الملك ولا الراعى

جبنا أو لحما أو حتى لبننا لذيذاً،

وذلك لأن اللبن متوفر على الدوام".

لقد أعطى هوميروس في هذه الأبيات وصفاً للأرض الليبية وكأنها جنة مليئة بالخيرات على الدوام، هذا الوصف الذى بدأه مينيلوس مستخدماً الفعل "أتيت *ἰκόμην*" للتدليل على الزيارة الفعلية وحلوله بالمكان ورؤيته حقه. ورغم هذا التصوير الساحر للصحراء الليبية إلا أن اللاحقين أتوا بوصف معارض تماماً لهذا الوصف^(١٢)، وكان أبولونيوس الرودى من بين هؤلاء المعرضين والذى قال إن ليبيا عبارة عن أرض رملية متزامية الأطراف (*A. R., Arg., ηερίη δ' ἄμαθος παρακέκλιται*, IV. 1239). وأتى لوكانوس هو الآخر بوصف مخالف تماماً لما أتى به هوميروس من قبل، وقد جاء بوصفه هذا عند حديثه عن اجتياز كاتو للصحراء الليبية أثناء توجهه إلى أوتيكا، وقد أتى بهذا الاجتياز على ثلاث مراحل، وكان عبور الصحراء فى المرحلة الثانية من المراحل الثلاث. حيث يبحر كاتو فى المرحلة الأولى بطول الساحل الأفريقي من قوريني *Cyrenaica* حتى سرت *Syrtes*، ويسير فى المرحلة الثانية على الأقدام حتى معبد جوبيتر أمون، ثم يبحر فى المرحلة الثالثة بطول نهر باجرادا *Bagrada* حتى يصل أوتيكا *Utica*. وهكذا أتى عبور كاتو للصحراء الليبية فى المرحلة الثانية عندما اضطرته مياه سرت الضحلة، ذات السمعة السيئة، إلى النزول

^{١٢} - مع الأخذ فى الاعتبار أن حديث مينيلوس عن غذاء الليبيين واعتمادهم على اللبن والجبن

إلى جانب اللحم، يعنى الحديث عن شعب بعيد عن الحضارة والتطور. انظر:

Margo Kitts, Op. Cit., p. 134-135.

التأثيرات الكلاسيكية فى تصوير الصحراء الليبية

من البحر والسير على الأقدام عبر الصحراء، ومواجهة ما بها من أخطار ومهالك^(١٣).

ويبدو أن حديث لوكانوس عن وصف سِرت بأنها سيئة السمعة قد نقله عما أورده فرجيليوس فى ملحمة الإنيادة، والتي قال فيها:

inhospita Syrtis;
hinc deserta siti regio lateque furentes
Barcaei.

(Vreg. Aen., 41-43)

" إن سِرت غير مضيافة.

وعلى الجانب الآخر منها توجد صحراء جدباء، وينتشر هناك
أهل برقة العدائين. "

فنلاحظ هنا ذكر فرجيليوس لسبب شهرة سِرت بسوء السمعة؛ وذلك لأنها غير مضيافة أو مرحبة بالغرباء، كما أنها فى مواجهة صحراء قفر جدباء، ويسكن بها أهل برقة الذين يتسمون بالعدائية نحو الغير^(١٤).

وافقت بعض الدراسات على رواية لوكانوس، والخاصة بواقعة المرور بالصحراء الليبية، ولكنها اعترضت على ما ذكره بشأن مكوث كاتو بصحراء سِرت، وما صادفه هناك من أحداث، ورأت تلك الدراسات أن لوكانوس قد تأثر بملحمة "رحلة السفينة أرجو" ونقل عنها ما سبق وأورده أبولونيوس من المصاعب والمهالك التى واجهها بحارة السفينة فى الكتاب الرابع من الملحمة^(١٥)؛ وكذا وصولهم فى البيت

¹³ - Luc. BC., IX.300-410.

¹⁴ - أورد فرجيليوس فى الكتاب السادس من ملحمة الإنيادة بيت ٦٩٤ قولاً عن عدائية أهل

ليبيا نحو الغرباء، وإلحاق الأذى بهم "Libyae tibi regna nocerent!"

¹⁵ - Leigh M., Op. Cit., p.97; Cf., A. R., Argo., IV.1232-1392.

صلاح السيد عبد الحي

(١٢٤٣) إلى الأراضي الليبية دون رغبة منهم أو قصد "λάβρον ἐποیحόμενον" ، ومن ثم أورد لوكانوس هو الآخر أن كاتو ورفاقه أثناء ركوبهم البحر من قورينى واتجاههم نحو أوتىكا توقفت بهم السفينة فجأة فى منطقة سرت فى منتصف الطريق هناك بسبب طبيعة "sed iter mediis natura uetabat" تلك المنطقة، والتي تتسم بضحالة مياه البحر ، حتى أن الأرض تظهر من أسفل المياه، ولم تستطع السفن أن تتقدم ، حتى صاروا فى ورطة ولم يستطيعوا الوصول إلى البر أو البحر " pelagi terraeque reliquit" ، حتى وجدوا أنفسهم أمام خيارين "dubius"؛ إما السير على الأقدام فى تلك المياه الضحلة بطول الشاطئ أو فى الصحراء الممتدة أمامهم^(١٦). وهكذا جعل لوكانوس وصول كاتو ورفاقه إلى سرت دون رغبة منه أو قصد على غرار بحارة السفينة أرجو .

لقد كان الإسكندر الأكبر من بين الشخصيات الواقعية التي عبرت الصحراء من أجل زيارة معبد أمون فى واحة سيوه^(١٧). وكان المؤرخ اليونانى كالليستينيس Callisthenes (٣٦٠-٣٢٧ ق.م) رفيق الإسكندر فى غزواته أول من ذكر أن الإسكندر قام بهذه الرحلة عن قصد وبغرض محاكاة كل من البطلين بيرسيوس وهراقليس، ثم جاء استرابون وتبنى هذا الزعم وكرره فى مؤلفه^(١٨):

Καλλισθένης φησὶ τὸν Ἀλέξανδρον φιλοδοξῆσαι μάλιστα ἀνελθεῖν ἐπὶ τὸ χρηστήριον, ἐπειδὴ καὶ Περσέα ἤκουσε πρότερον ἀναβῆναι καὶ Ἡρακλέα.

(Callisthe. Fragmenta, F2b.124.14a.5-6)

"وقال كالليستينيس إن الإسكندر ذائع الصيت جداً قد ذهب إلى الوحي،

بعدما سمع أن بيرسيوس قد ذهب إليه أولاً، وكذلك هراقليس. "

¹⁶ - Luc. BC., IX. 300-311.

¹⁷ - Robinson C. A., "The Extraordinary Ideas of Alexander the Great", *The American Historical Review*, Vol. 62, No. 2 (Jan. 1957), p. 331; Maes Y., Op. Cit., p. 677-678.

¹⁸ - Maes Y., Op. Cit., p.663; Cf., Strabo. *Geog.*, 17.1.43.11-14.

التأثيرات الكلاسيكية فى تصوير الصحراء الليبية

وجاء المؤرخ اليونانى ديودوروس الصقلى من بعد كالليستينيس واسترابون وقال بان الإسكندر بعد أن قام بتوزيع المهام فى مصر وتأسيس الإسكندرية قرر الذهاب فى رحلة إلى وحي جوبيتر أمون فى سيوه لاستشارة وحي الإله حول أمور خاصة به:

. καταστήσας δὲ τὰ κατὰ τὴν Αἴγυπτον προῆλθεν
εἰς Ἄμμωνος, βουλόμενος χρῆσασθαι τῷ θεῷ.
(D.S., XVII.49.2.4-5)

"وبعد أن استقرت الأمور فى مصر، فقد توجه
إلى معبد أمون، طالبا النبوءة من الإله."

واتفق المؤرخ الرومانى كوينتوس كورتيوس روفوس Q. Curtius Rufus (مات عام ٥٣ م) والذى اشتهر بمؤلفه "تاريخ الإسكندر الأكبر Historiae Alexandri Magni" معه فى هذا الرأى، وقال:

tus ad interiora Aegypti penetrat compositis-
que rebus ita, ut nihil ex patrio Aegyptiorum
more mutaret, adire Iovis Hammonis oraculum
statuit.

(Curt. Hist. Alex. Magni., 4.7.5.2-5)

فإنك بعد أن ثبتت كل شىء داخل مصر،
وألفت بينها، وسيرا على العادة فقد تحركت من

مركز والد المصريين، وتوجهت نحو وحي زيوس أمون."

لقد كان لهذه الروايات عظيم الأثر فى لوكانوس عند تدوينه لعبور كاتو الصحراء الليبية حتى أنه أقحم هذا الحدث على أحداث ملحتمه وحاول السير على نهج روايات زيارة الإسكندر للصحراء بغرض طلب المشورة من وحي الإله أمون. ومن

صلاح السيد عبد الحي

ثم فقد جعل أحد رفاق كاتو وهو القائد لابينوس Labienus^(١٩) يطلب من كاتو أن يتوجه إلى المعبد ويسأل عن نهاية تلك الحرب ومصير قيصر، فقال له:

' inquire in fata nefandi
Caesaris et patriae uenturos excute mores.
Iure suo populis uti legumque licebit,
an bellum ciuile perit? '

(Luc. BC., 9, 558-561)

وقال عليك أن تسأل "

عن مصير قيصر الأثم، وتستفسر عن مستقبل وطننا .

وعما إذا آن لشعبك أن يمارس حقوقه

أم أن الحرب الأهلية قد ضيعته؟ "

ورغم هذا التأثير الواضح في لوكانوس، إلا أنه لرغبته في التميز جعل كاتو يرفض هذا الطلب ويأبى استشارة الوحي، متعللاً بعدم اهتمامه سواء خسر المعركة أم كسبها:

" quid quaeri, Labiene, iubes ? an liber in armis
occubuisse uelim potius quam regna videre?
an sit uita nihil sed longa an differat aetas?"

(Luc. BC., 9, 566-568)

" يا لابينوس، لماذا تطالبني أن أستفسر؟ هل عليّ أن اختار بين

¹⁹ - كان لابينوس قائداً لفرقة الفرسان في الحرب الأهلية والتي وقف فيها إلى جانب كل من بومبيوس و كاتو، وما يمثلانه من حرية وجمهورية ضد قيصر وما يمثله من غطرسة واستبداد. انظر:

Dick B. F., "Fatum and Fortuna in Lucan's Bellum Civile", *CPh.*, Vol. 62, No. 4 (Oct. 1967), p. 239; Lounsbury R. C., "History and Motive in Book Seven of Lucan's Pharsalia", *Hermes*, 104. Bd., H. 2 (1976), p. 214-215; Russell P., "Epigram, Pantheists, and Freethought in Hume's Treatise: A Study in Esoteric Communication", *JHI.*, Vol. 54, No. 4 (Oct. 1993), p. 661-662.

التأثيرات الكلاسيكية في تصوير الصحراء الليبية

الموت بالأسلحة أم بالحرية كي أرى وطنى فى وضع أفضل؟
أليست الحياة الطويلة لا شيء وأن اللحظة تصنع فرقاً؟^{٢٠}

وهكذا فرغم توافر المادة التاريخية لدي لوكانوس إلا أنه أبى السير على درب السابقين في هذه الواقعة وجعل بطله كاتو هو الآخر يرفض تقليد الشخصيات التاريخية السابقة ويذهب إلى الصحراء من أجل طلب مشورة ونبوءة الوحي المقدس هناك والذي من أجله عبّر السابقون واجتازوا الصحراء وكأنهم في رحلة مقدسة أو رحلة حج، ومن ثم يجعل لوكانوس عبور كاتو للصحراء محاولة منه لإعادة تأهيل الجنود ثانية وبث روح الأمل والقدرة على المغامرة وخوض الصعاب ليس أكثر (٢٠). ولهذا جعله يأتي إلى معبد أمون مصادفة ودون قصد كما كان عبوره للصحراء سيرا على الأقدام مصادفة أيضاً. ولمزيد من الرغبة في التميز عما سبقه من كتابات سبق وتناولت تلك الواقعة فقد تباينت حالة كاتو ورفاقه أثناء عبورهم الصحراء عن حالة بحارة السفينة الأرجو، خاصة وأن بحارة السفينة أرجو عند أبولونيوس الرودى كانوا يسرون عبر الصحراء وهم يحدوهم الأمل في النجاة بحياتهم وإنقاذ أرواحهم من الهلاك، وتأكيداً على هذا الأمر وجدنا أبولونيوس وقد كرر كلمة العودة للوطن في

^{٢٠} - كان غرض الواقعة التاريخية غرضاً عسكرياً؛ حيث رغب القائد العسكرى كاتو فى الوصول بقواته إلى تونس لمناصرة وتعضيد قوات بومبى العسكرية التى فقدت الأمل فى النصر بعد موت قائدهم. وحول هذا /نظر:

Bexley, E. M. "The myth of the Republic: Medusa and Cato in Lucan Pharsalia 9.", in Lucan's "Bellum civile": between epic tradition and aesthetic innovation. Berlin; New York: De Gruyter, 2010, p. 136-137; Cf., Luc. BC., IX, 544-586.

صلاح السيد عبد الحي

ملحمته ٤٢ مرة بكافة الأشكال ؛ الفعلية منها νοστέω والاسمية νότος^(٢١) ، فى حين كان كاتو ورفاقه يسيرون عبر الصحراء بلا أمل أو هدف واضح أمامهم^(٢٢).

ورغم محاولة لوكانوس الاختلاف عن السابقين عليه إلا أنه لم يستطع الفرار من الوقوع تحت تأثيرهم والنقل عنهم، هؤلاء الذين اعتادوا الربط بين أمن والصحراء كما اعتادوا الربط بين الصحراء والمهالك^(٢٣)، ومن ثم فإنه وسيراً على هذا الدرب يورد فى البيت (٥١١) بالكتاب التاسع ما يدل على تقليده العادة الأدبية القديمة ويربط بين الصحراء الليبية والإله أمن حيث قال:

ventum erat ad templum Libycis quod gentibus unum
inculti Garamantes habent.

(Luc. BC., IX. 511-512)

"وقد وصلوا إلى حيث المعبد الوحيد فى الأرض الليبية،

وحيث الوصول للأراضي الجارامنتية غير الخصبة."^(٢٤)

²¹ - Leigh M., Op. Cit., p. 108.

²² - Luc. BC., IX. 572-580.

وذلك لأنه لا أحد يعرف المستقبل، وجوبيتر يرى كل شيء "Iuppiter est"

quodcumque vides, quodcumque moueris"، وأن النبوءة ليست أكيدة، بينما الموت

هو الحقيقة الأكيدة "non oracula certum sed mors certa facit". /نظر:

Maes Y., Op. Cit., p. 668.

^{٢٣} - وظهر هذا جليا عند فرجيليوس فى الكتاب الرابع بيت ١٩٦ من ملحمة الإنيادا. /نظر:

Steadman J. M., "Chaucer's "Desert of Libye," Venus, and Jove (The House of Fame, 486-87)", *MLN.*, Vol. 76, No. 3 (Mar. 1961), p. 196-197.

^{٢٤} - استغل لوكانوس فرصة وصول كاتو إلى الصحراء الليبية كى ينثر معلوماته وسعة

اطلاعه ومعرفته بطبيعة الأرض والشعب الليبي القديم، ومن ثم فقد استغل خمسة وعشرين

بيتاً (٤٢٠-٤٤٤) كى ينثر معلوماته عن عادات وتقاليد الليبيين وخصوبة أرضهم الواقعة

بالجهة الغربية وعدم خصوبة البعض الأخر، وإن اتسمت المنطقة التى وصلها كاتو فى

سرت بكثير من الأمور حتى استحققت الوقفة عندها وإلقاء مزيداً من الوصف عما سواها.

التأثيرات الكلاسيكية في تصوير الصحراء الليبية

فهنا يشير لوكانوس إلى وصول كاتو للأرض الليبية التي يقع بها معبد وحيد، ورغم قداسة هذا المعبد في عيون زائريه إلا أنه جعل كاتو لا يكثرث بقيمة وأهمية وحى ذلك المعبد "sterilesne elegit harena" الذي تحج إليه الوفود من كل مكان، ويراه لا يدانى وحى جوبيتر أمنون "nulla sub illa cura Iovis terra est"، ذلك الوحي الذي خصص له اثنين وخمسين بيتاً (الأبيات ٥٤٤-٦٠٥) من أبيات الكتاب التاسع بغرض مدحه والإعلاء من شأنه بصفته أعظم الأوجية القديمة على الإطلاق.

لقد استغرق وصف لوكانوس لمسيرة كاتو بالصحراء الليبية إلى حيث معبد أمنون ستة وسبعين بيتاً (أبيات ٥١١-٥٨٦) من أبيات الكتاب التاسع بملحمة "الحرب الأهلية"، ذلك المعبد الذي أتى إليه بعد إبحاره بطول ساحل مدينة سرت الليبية، ثم توغله بالصحراء حتى وصل إليه في واحة سيوه على بُعد أربعمئة ميل من مدينة قوريني، وقد رافقه في هذا المسير نحو عشرة آلاف جندي^(٢٥). وأدى هذا الوصف لخط السير من ناحية وما صادفه داخل الصحراء من ناحية أخرى إلى القول بأن لوكانوس قد أعاد تقديم الإسكندر وعبوره الصحراء في ثوب جديد^(٢٦).

وبالطبع كانت زيارة الإسكندر الأكبر لهذا المعبد من أشهر الزيارات التي ذكرتها المصادر والأعمال الأدبية، والتي ذكرت أن الإسكندر قد أضاف ألفاً من الكيلومترات إلى رحلته من بابل Babylon إلى إيسوس Issus بجنوب شرق الأناضول ثم أضاف أربعمئة كم أخرى بسبب اتجاهه نحو الجنوب الغربي للوصول إلى ممفيس ميمفيس في مصر ثم ستمائة كم أخرى بسبب سيره من ممفيس إلى معبد أمنون في واحة سيوه. وذكرت أيضاً أن مسيرته قد أتت في ظروف طقسية عصيبة حيث كانت

²⁵ - Morford M. P. O., "The Purpose of Lucan's Ninth Book", *Latomus*, T. 26, Fasc. 1 (JANVIER-MARS 1967), p. 124-125.

²⁶ - Maes Y., Op. Cit., p. 660-661.

صلاح السيد عبد الحي

بدايات الفصل السيئ من هطول أمطار على الساحل وهبوب عواصف رملية في الصحراء؛ ولهذا استغرق سيره ستة أشهر وعانى هو وجنوده كافة أصناف العذاب هناك^(٢٧). وعند مقارنة هذا الأمر مع ما أورده لوكانوس عن اجتياز كاتو الصحراء نفسها التي عبرها الإسكندر نجده وقد جعل اجتياز الصحراء مصادفة وبدون مهارة تُذكر؛ وهذا ما أورده على لسان القائد لابينوس رفيق كاتو:

sors obtulit', inquit

'et fortuna uiae.

(Luc. BC., IX, 550b-551)

" يقول بأن المصادفة هي التي عُرِضت
وأنت حظيت بالطريق."

²⁷ - Bloedow E. F., "Egypt in Alexander's Scheme of Things", *QUCC., New Series, Vol. 77, No. 2. 2004*, p. 77, 89-90, 96.

نشرت المصادر القديمة الكثير من الأحداث الغريبة حول خط سير رحلة الإسكندر إلى وحي أمون في سيوه بالصحراء الليبية، مثل حديثها عن المساعدات التي حصل عليها الإسكندر وجنوده ولكنها لم تتوفر لجنود كاتو في رحلتهم بنفس الطريق؛ إذ هطلت أمطار غير متوقعة فمحت وطأة شدة حرارة الصحراء، وتحدثت أيضاً تلك المصادر عن الحيوانات المساعدة التي دلته وجنوده على الطريق بل ومرافقتهم لهم في رحلتهم سواء كانت ثعابيناً أم سرباً من الغربان. /نظر:

Maes Y., Op. Cit., p. 665.

ولقد تحدثت مصادر أخرى عن مصاعب وأهوال رحلة الإسكندر، حتى أنها أكسبتها شيء من القدسية الدينية، فتحدثت عن صعوبة الوصول إلى هذا المكان الجدير بالحج والذي يستحق تحمل المشاق من أجله، مثل مواجهة الزائر أو الحاج إليه الثعابين الكثيرة المنتشرة عبر الطريق في الصحراء. /نظر:

Hdt. II.74, and Hesych. S.v. Ἀμμων.

وانظر: فوكس وبيرن: الإسكندر الأكبر، سلسلة أعلام ومشاهير. الإسكندرية: دار ومطابع المستقبل، بيروت: مؤسسة المعارف، د.ت.، ص. ٧١-٧٢.

التأثيرات الكلاسيكية فى تصوير الصحراء الليبية

وهكذا اختلف لوكانوس مع كافة المصادر التى اعتمد عليها؛ فى جعله الوصول إلى معبد أمون كان بدون قصد أو رغبة وأن المصادفة هى الوحيدة التى أتت به إلى هناك وهى التى أخرجته أيضاً^(٢٨).

لقد كانت قورينى نقطة انطلاق الإسكندر إلى الصحراء ومنها انطلق كاتو، وقد ذكر كل من ديودوروس وكورتوريوس روفوس، من قبل، أن أهل قورينى استقبلوا الإسكندر بالترحيب فور وصوله إليهم وأرسلوا إليه الهدايا وذلك رغم حضوره محارباً وليس ضيفاً أو زائراً:

..... Eo legati Cyrenensium dona attulere,
pacem et ut adiret urbes suas petentes. Ille donis
acceptis amicitiaque coniuncta destinata ex-
qui pergit.

(Curt. *Historiae Alexandri Magni.*, 4.7.9.3-6)

" وهناك عرض سفراء أهل قورينى الهدايا

والسلام، عندما أتى مدنهم العدائية.

ورغم الصداقة والترابط التى أوجدته تلك الهدايا

إلا أنه استمر فى عمله. "

ورغم هذه الصور التى أتى بها كورتوريوس عن محاولة أهل قورينى كسب ود وصداقة amicitiaque coniuncta الإسكندر الأكبر بالهدايا والسلام dona et pacem رغم أنه أتى إليهم محارباً معادياً وهم أنفسهم عدائيون petentes ، إلا أن لوكانوس أتى بصورة مُغايرة أو لنقل بأنه اعتمد على ما قيل حول عدائيتهم petentes

²⁸ - Maes Y., Op. Cit., p.663.

صلاح السيد عبد الحي

وقال بإنهم رفضوا وجود كاتو بينهم وقاوموه (Luc. invasit Libye securifata Catonis. (410 BC., مما منح قوله تميز واختلاف عن سابقه^(٢٩)).

وسيرا على نهج الأقدمين في وصفهم للأحداث التي يمر بها عابرو الصحراء وكما أورد كل من ديودوروس و كورتيوس روفوس^(٣٠) في حديثهما عن معوقات وصعاب واجهت الإسكندر من هبوب للرياح وجفاف للأرض وارتفاع لدرجات الحرارة وكثرة الحيوانات في الطريق ، بعضها شرس والبعض الآخر مُساعد ومُعِين، وكما هو حديثهم عن كرم ضيافة شعوب الصحراء أو ضمنهم وسوء معاملتهم ، فقد تأثر لوكانوس بكل هذا ولكنه اختزلها جميعها في البيت (٤٠٢) من الكتاب التاسع بأن صحراء ليبيا ما هي إلا: ثعابين، وعطش، وحرارة شديدة، ورمال serpentes, sitis, ardor, harenae.

إن تصوير لوكانوس لعبور كاتو الصحراء الليبية وتغلبه على كل ما واجهه هناك من صعاب وعراقيل جعلت من مروره مغامرة ومهمة شاقة وأظهرت مدى قدرته على تحمل الصعاب ومواجهة الأخطار ، بداية من هبوب عاصفة قوية فور دخوله الصحراء الليبية (أبيات ٤٤٥-٤٩٧) ثم معاناته مع قيظ الشمس ولهيبها incensusque dies وتصيب العرق منه manant sudoribus artus وجفاف حلقه هو ورجاله ، ومعاناتهم العطش arent ora siti هناك وذلك كما أورد بالبيتين ٤٩٩-٥٠٠،

²⁹ - Ibid. p. 664; Fantham E., "Lucan's Medusa-Excursus: Its Design and Purpose", *MD.*, No. 29 (1992), p. 95.

³⁰ - Maes Y., *Op. Cit.*, p.664; Cf., *D.S.*, XVII.49.2-5; Curtius, 4.7.9-13.

لقد أورد كل من ديودوروس و كورتيوس روفوس أن جنود الإسكندر عانوا قلة المياه ، حتى أن حلوهم جفت بسبب السخونة الحارقة في صحراء ليبيا ، وقد زادت هبوب الرياح الجنوبية القاسية من معاناتهم هناك ، تلك الرياح التي أثارت الرمال حتى فقد الرجال اتجاههم . وقد أورد استرابون ، 17, 43 نفس الوصف أيضاً.

التأثيرات الكلاسيكية في تصوير الصحراء الليبية

هذا فضلا عن مواجهتهم لزواحف وحيوانات الصحراء وثعابينها القاتلة⁽³¹⁾. ويجب هنا ملاحظة تميز تصوير لوكانوس لصعاب ومخاطر عبور الصحراء بالترتيب الطبيعي للأشياء والأحداث ؛ فهبوب رياح جنوبية قاسية في الصحراء ثم تحولها إلى عاصفة رملية هوجاء *densis fremuit niger imbribus Auster* لأمر منطقي مقبول ومن ثم يصير معها الحديث عن نُدرة وشُح المياه أمراً مقبولاً هو الآخر ؛ في ظل هذه الأجواء المناخية القاسية المتقلبة⁽³²⁾.

³¹ - Leigh M., Op. Cit., p.99; Maes Y., Op. Cit., p. 660-661.

ويمكن القول إن تعاليم كاتو الرواقية وأفكاره التحريرية كان لها الفضل الأكبر في نجاته مما واجهه في عبوره للصحراء والوصول إلى غايته بتونس. /انظر:

Wolloch N., "Cato the Younger in the Enlightenment", *MPhi.*, Vol. 106, No. 1 (August 2008), p. 72, 74; George D. B., "Lucan's Cato and Stoic Attitudes to the Republic", *CIAn.*, Vol. 10, No. 2 (Oct. 1991), pp. 237-258, p. 237-238.

³² - مثلت الرياح والعواصف الرملية رابع الشدائد التي واجهها كاتو أثناء عبوره الصحراء الليبية، تلك الرياح التي تهب وسرعان ما تتحول إلى عاصفة رملية في سِرت، حتى أضافت معاناة أخرى إلى ما يعانيه من حرارة وعطش وثعابين، وقد أظهرت جميع هذا المحن جلد كاتو وإيثاره على ذاته وخاصة عندما كان جنوده عطشى أمام عين الماء. /انظر:

Fantham E., "Lucan's Medusa-Excursus: Its Design and Purpose", *MD.*, No. 29 (1992), p. 96; Cf., *Luc. BC.*, IX, 300-303, 319-347, 493-510.

وفيما يخص الرياح، والتي تتحول إلى عاصفة هوجاء فيما بعد، فقد عانى منها الأبطال السابقون أثناء مرورهم بالصحراء من أمثال: ماريوس و أوفيلاس وقمبيز، والإسكندر بالطبع، وقد اهتم هيرودوتوس بهذا الأمر، حتى أنه تحدث عن هبوب رياح على جيش قمبيز المنكوب عندما أراد التوجه إلى معبد أمون، فقَفَدَ خمسين ألف من رجاله بسبب تلك الرياح (Hdt., III, 26). /انظر:

Maes Y., Op. Cit., p. 665, Note 24.

صلاح السيد عبد الحي

ويعود ما وصفه لوكانوس من مخاطر وأهوال بالصحراء في الكتاب التاسع إلى تأثره بما سبق وأوردته الكتابات الأدبية القديمة ، والتي ملأت وصفها عن صحراء ليبيا بالأعاجيب وكل ما هو مفرع ومخيف حتى صار الحديث عنها يعنى الوحوش والثعابين القاتلة. فقد سبق وتحدث ديودوروس في تاريخه عن مواجهة ديونيسيوس لوحش يشبه الأسد ὄσφύς οὐρά هناك ورغم عنف ووحشية هذا الأسد إلا أن ديونيسيوس بفضل قوته δύναμις يتغلب عليه ἀναζεύγνυμι⁽³³⁾. وقد أتى أبولونيوس الرودى هو الآخر وتحدث في ملحمة "رحلة السفينة أرجو" في الكتاب الرابع (أبيات 1502-1536) عن موت العرّاف موبسوس Mopsos بسبب ثعبان مُرعب مُخيف δεινὸς ὄφιδος في الصحراء الليبية. وتحدث أيضاً جايوس سالستوس كريسيوس Gaius Sallustius Crispus (86-34 ق.م) الرومانى في مؤلفه "حرب يوغرثة Bellum Iugarthinum" عن معاناة ماريوس Marius بالمنطقة الجدباء المحصنة بموانع طبيعية omnia vasta, inculta وغير أمنة infesta في الصحراء ، والتي تحيط بمنطقة سرت الليبية ، فهي صحراء كفراء جدباء شحيحة المياه ومكتظة بالثعابين العطشى egentia aquae القاتلة perniciose serpentes⁽³⁴⁾.

وقد كان لهذا الوصف الأخير أثره في لوكانوس عندما أراد وصف الصحراء الليبية التي دخلها كاتو وكان عليه أن يعبرها حتى أنه جعله يقول لرجاله فور دخولهم إليها⁽³⁵⁾:

'Vadimus in campos steriles exustaque mundi,
qua nimius Titan et rarae in fontibus undae,
siccaque letiferis squalent serpentibus arva.'
(Luc. BC., IX. 382-384)

³³ - D.S., III.72.2-3.

³⁴ - Maes Y., Op. Cit., pp. 659-660, Note 9; Cf., Sallust, Jug., LXXXIX.5.

³⁵ - Leigh M., Op. Cit., p. 98.

التأثيرات الكلاسيكية في تصوير الصحراء الليبية

" إننا داخلون حقول جدياء وأكثرها حرارة في العالم،
حيث قيظ الشمس ، والمياه في الآبار شحيحة،
والحقول جافة وتسكنها الثعابين القاتلة. "

إن هذا الوصف الدرامي للصحراء الليبية قد سبق وأورده كورتيوس روفوس في كتابه عن الإسكندر (VII.5.9-12) والذي جاء به أن الإسكندر الأكبر بذل في طريقه نحو معبد أمون جهداً ومشقةً في الصحراء Graves deinde avidè hausto ، وعانى العطش pati sitim حتى عثر على عين ماء ضحلة exiguum possum لم تملأ مياهها غير خوذة واحدة حتى أنه رفض أن يشرب منها reddito nec solus inquit bibere sustineo قبل أن يروى رجاله ظمأهم ويوزعوا الماء فيما بينهم dividere omnibus⁽³⁶⁾.

وإضافة إلى الأوصاف الدرامية للصحراء الليبية التي جاءت بالمصادر الأدبية السابقة على لوكانوس وكان لها تأثيرها فيه من حيث معاناة العطش وارتفاع درجة الحرارة ومواجهة ثعابين قاتلة فقد تأثر أيضاً بما ورد عن العثور على عين ماء ، كذلك التي وجدها الإسكندر أثناء سيره عبر الصحراء عند كورتيوس روفوس ولكن لوكانوس جعل عين الماء التي عثر عليها كاتو مملوءة بالمياه ومملوءة أيضاً بالأفاعى العطشى:

inventus mediis fons unus harenis
largus aquae, sed quem serpentum turba tenebat
vix capiente loco; stabant in margine siccae
aspides, in mediis sitiebant dipsades undis.
(Luc. BC.,9.607-610)

" وتم العثور على عين ماء وحيدة في وسط الرمال "

³⁶ -Maes Y., Op. Cit., p. 660-661.

صلاح السيد عبد الحي

مليئة بالمياه ، ولكن حشد من الثعابين يسيطر عليها ،
وبالكاد يتسع المكان لهم، تقف تلك الأفاعى العطشى على
حافة العين، وتلك الديبساس تشعر بالعطش وهى وسط المياه. "

لقد أضفت الثعابين على العين المملوءة بالمياه مزيدا من الدرامية على الحدث الذى عناصره الأساسية صحراء وقائد وجنود عطشى وعين ماء. ولقد استدعى هذا الوصف لعين الماء الموجودة بالصحراء والمملوءة بالمياه وبالثعابين ولكنها ثعابين عطشى رغم وجودها فى الماء أسطورة تانتالوس τάνταλος ملك فريجيا Φρυγία على الفور، ذلك الملك الذى عاقبته الآلهة بالوقوف عطشان فى وسط عين ماء وكلما حاول أن يشرب من الماء فلا يستطيع⁽³⁷⁾. وهكذا يبدو أن لوكانوس قد نقل واستدعى عطش تانتالوس وعكسه على الثعابين من جهة وعلى أولوس Aulus من جهة أخرى، فهذا الرجل رفيق كاتو أثناء عبوره للصحراء الليبية القاسية مترامية الأطراف قد شعر بشدة العطش aquas sitiens بعد أن لدغه أحد ثعابين الديبساس dipsas calcata momordit⁽³⁸⁾. وهكذا يسيطر العطش على المشهد الوصفى برُمته عند لوكانوس، حيث نقلت الثعابين عطشها عن طريق اللدغ وأخذ الرجل الذى لدغته يعانى هو الآخر من اللدغ من جهة والشعور بالعطش الشديد من جهة أخرى.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه عند مقارنة ما أتى به لوكانوس عن العثور على عين ماء فى الصحراء بعد العطش ومعاناة ارتفاع درجة الحرارة بالكتاب التاسع (أبيات ٤٠٦-٣٦٩ و ٥٠٠-٥١٠) مع ما أورده كُتَّاب السير عن تيه الإسكندر الأكبر فى الصحراء ثم ظهور عين ماء فجأة ، نجد تمتع كل من الإسكندر و كاتو

³⁷ - Pi. O., I.54-64; E. Or., 4-11; Pl. Cra., 395d; Apollod. Epit., 2.1; Paus. II.22.3, V.13.7, X.31.12; Ov. Met., IV.458-459, VI.172-176, 403-411.

³⁸ - Leigh M., Op. Cit., p. 100-101; Cf., Luc. BC., IX., 693-708.

التأثيرات الكلاسيكية فى تصوير الصحراء الليبية

بأصول القيادة وإيثار الذات^(٣٩)، خاصة وأن كاتو تقدم وشرب قبل رجاله حتى يبيث الطمأنينة فى نفوسهم بشأن سلامة مياه العين وصحتها وأخبرهم بأن الماء يكفى الجميع ، وفيما يخص الإسكندر فقد رفض أن يشرب قبل رجاله لقلّة الماء فى العين . وعلى هذا النحو يمكن القول إن عناصر التأثير بادية جلية حيث وجود قائد ومجموعة تابعين وصحراء وتيه وقيظ وجذب وعطش والعثور على عين ماء مصادفة، إلا أن تصرف الإسكندر اتسم بالموضوعية وطبيعية الأداء فى حين أتى تصرف كاتو مفتعلاً. ومن ثم فقد كان هذا الأداء الدرامى المُفتعل تجديداً أدخله لوكانوس على واقعة مرور كاتو بالصحراء الليبية خاصة وأنه حاول الابتعاد عن واقعة الإسكندر التاريخية المملة هناك ، ومن ثم جعل كاتو لا يماثل الإسكندر فى هذا الشأن وأن اقتدى به فى شئون ومواقف أخرى^(٤٠).

ولم يكن أولوس هو الوحيد الذى ذكره لوكانوس من بين رجال كاتو وقال عنه أن الثعابين قضت عليه بلدغاتها وسمومها القاتلة ولكنها لدغت الكثيرين أيضاً وقضت عليهم فى مشاهد موت مرعبة، كما أورد فى الكتاب التاسع (بيت ٦١١) *noxia serpentum est admixto sanguine pestis*^(٤١)،

وقد دفعت كثرة مشاهد الموت جراء لدغات الثعابين إلى محاولة الوقوف على أسباب انتشارها بالصحراء الليبية، ولذا أجرى لوكانوس تحقيقاً موسعاً وبعد البحث والتقصى وبذل الجهد *cura* والمشقة *labor* واستشارة الوحي بصفته حامى الوطن *parens patriae* فقد توصل إلى أن القصة الخيالية *fibula* والتي تداولها الشعراء

³⁹ - Curt. 7.5.9-12; Plut., Alex. 42; Arr., Anab.

⁴⁰ - Swain S., "Plutarch's Lives of Cicero, Cato, and Brutus", *Hermes*, 118. Bd., H. 2 (1990), p.198-199; Maes Y., Op. Cit., p.661.

⁴¹ - Gorman V. B., "Lucan's Epic "Aristeia" and the Hero of the "Bellum Civile"", *CJ.*, Vol. 96, No. 3 (Feb. - Mar. 2001), p. 279-280.

صلاح السيد عبد الحي

والأدباء على مر العصور كانت سبباً *causa* في ذبوع وانتشار قصص الثعابين القائلة هناك، وقد كانت أسطورة ميدوسا Medusa من بين تلك الأساطير التي تداولها الأدباء ونشروها بين الناس^(٤٢).

وقد كان أوفيدوس مصدر لوكانوس الأول فيما أورده عن تلك الثعابين والذي ذكر في الكتاب الرابع من ملحمة "مسخ الكائنات *Metamorphoses*" أسطورة الصراع بين بيرسيوس وميدوسا وكيف استطاع بيرسيوس أن يجعلها تهاجم صورتها المعكوسة على سطح الماء ويقطع رأسها ويقضى عليها، ولكن الدماء المتساقطة على الأرض أنتجت ثعابيناً كثيرة في الصحراء الليبية^(٤٣):

cumque super Libycas victor penderet harenas,
Gorgonei capitis guttae cecidere cruentae;
quas humus exceptas varios animavit in angues,
unde frequens illa est infestaque terra colubris.

(Ov. *Met.*, 617-620)

وعندما تحقق النصر على الرمال الليبية،

^{٤٢} - يعنى الاسم ميدوسا الحاكم منفردا ، ومن الناحية اللغوية فهو اسم فاعل من الفعل "يحكم *μῆδω*". وقد جرت الأدبيات اليونانية على تصويرها في شكل هولة مرعبة ، وربطوا بينها وبين العالم الآخر منذ هوميروس. ولكن هيسودوس *Ἡσίοδος* جعلها مخلوقة فانية ضمن ثلاث أخوات ، يُعرفن بالجورجونات ، والاسم "جورجون *γοργόν*" من الصفة "مُرعب أو مُخيف أو مُفزع *γοργός*". وقد كان كل من أوفيدوس وأبولونيوس أول من ذكر دماء ميدوسا التي سقطت على الأرض بعدما ذبحها بيرسيوس ، فأُنبتت الدماء المتساقطة على الأرض ثعابيناً. انظر:

Malamud M., Op. Cit., p. 40-41, note 26; Dexter M. R., "The Ferocious and the Erotic: "Beautiful" Medusa and the Neolithic Bird and Snake", *JFSR.*, Vol. 26, No. 1, (Spring 2010), p. 25, Note 1; Cf., Luc., *BC.*, IX. 619-699; Ov. *Met.* IV.614-20; A. R. *Argo.* IV.1506-1517.

⁴³ - Malamud M., Op. Cit., p. 31; Dexter M. R., Op. Cit., p. 30-31.

التأثيرات الكلاسيكية في تصوير الصحراء الليبية

فإن قطرات الدماء كانت تتساقط من رأس الجورجونة،
وقد امتلأت الأرض بثعابين متنوعة وكثيرة،
والتي انتشرت هناك فصارت الأرض غير آمنة بسبب الأفاعي. "

ولقد تأثر أوفيدوس نفسه ونقل ما قد سبق وذكره بنداروس Πίνδαρος
(٥٢٢-٤٤٣ ق.م) في أنشودته البيئية الثانية عشرة (أبيات ٩-٢١) عن قطع رأس
ميدوسα κρᾶτα συλάσαις Μεδοίσας على يد بيرسيوس. هذا فضلاً عن تأثر
لوكانوس أيضاً بما أورده أبولونيوس عن صراع هراقليس مع العملاق الأفريقي
أنتايوس Ανταῖος ابن الأرض جايا γαία وتغلبه عليه في مصارعة قوية وعنيفة،
ثم إشارته إلى تقطير رأس ميدوسا دماً على الأرض فأخرج ثعابيناً كثيرة ملئت أرجاء
الصحراء الليبية^(٤٤). وقد كان الفيلسوف أفلاطون Πλάτων (٤٢٩-٣٤٧ ق.م) من

^{٤٤} - يواجه هراقليس، أثناء ذهابه إلى حدائق الهيسبيريدس Εσπερίδες في ليبيا، حاكمها
العملاق أنتايوس ابن بوسيدون والذي كان يصارع كل مار بأرض ليبيا وينتصر عليه بسبب
القوة التي منحته له أمه جايا. وعندما أدرك هراقليس سر قوته المستمدة من الأرض قام برفعه
إلى أعلى بعيداً عن الأرض حتى خارت قواه واستطاع القضاء عليه. ولقد كانت كتابات كل
من بنداروس وأبولودوروس وكوينتوس مصادر لوكانوس التي اعتمد عليها في حديثه عن
أنتايوس ولقائه مع البطل هراقليس في الأبيات ٥٨٧-٦٦٦ بالكتاب التاسع من ملحمة
"الحرب الأهلية". /انظر:

Saylor C., "Curio and Antaeus: The African Episode of Lucan, Pharsalia 4",
TAPA., 112, (1982), p. 173; Huber M., Op. Cit., p. 118; Leigh M., Op. Cit.,
p. 96; Bruère R. T., "Lucan and Petrarch's Africa", CPh., Vol. 56, No. 2
(Apr. 1961), p. 96.

كان هيسبيودوس أقدم مصدراً أدبياً يشير إلى قطع رأس الجورجونة ميدوسا على يد بيرسيوس في
ملحمته "أنساب الآلهة" Θεογονία (كتبها ٧٠٠ ق.م تقريباً)، وذلك على الرغم من تجاهل
هوميروس لهذه الواقعة وإشارته إلى بيرسيوس مرتين في ملحمة. وقد كان بنداروس أول =

صلاح السيد عبد الحي

بين الكتاب الذين سبق وتناولوا سبب انتشار الثعابين بالأرض الصحراوية الواقعة جنوب سرت، وأشار إلى ما أوردته المصادر الأخرى في محاورته تيمايوس *Τίμαιος* والتي كتبها عام ٣٦٠ ق.م^(٤٥)، وتأثر بها بوليبيوس *Πολύβιος* (٢٠٠-١٨٠ ق.م) فأعاد نشرها وقال بأن الصحراء الليبية جرداء بلا زرع وما هي إلا رمال وظماً لا غير^(٤٦).

وهكذا فقد جمع لوكانوس كل ما أورده سابقوه عن ميدوسا وثعابين ليبيا وأعاد صياغته بأسلوبه حتى صارت مدوناته عن ثعابين الصحراء الليبية سجلاً عن أصول وسبب وجودها وليس مجرد وصفاً أو تصويراً لها ؛ إذ أنه إلى جانب حديثه عن ثعابين صحراء ليبيا وأثارها القاتلة قد تناول أصولها الأسطورية وكيف نبتت

= من جعل شعر الجورجونات عبارة عن حيات تتلوى في أشعاره (والتي كتبها عام ٥٠٠ ق.م تقريباً)، في حين كان هيرودوتوس أول من ربط بين بيرسيوس وميدوسا والصحراء الليبية (II. 91)، وكان يوربيديس *Εὐριπίδης* (٤٨٠-٤٠٥ ق.م) أول من تحدث عن وظائف دم الجورجونة، إذ أورد في مسرحيته "إيون" *Ἴων* أن دماء ميدوسا قاتلة وكذا شافية من الأمراض، وقد أورد هذا الأمر في مسرحيته "إيون" وعلى لسان كريوسا عندما تحدثت عن قطرتي دم سقطت على الأرض من الرأس المقطوعة؛ فكانت إحداهما قاتلة والأخرى شافية (Ion, 1003-1005). هذا فضلاً عن كون ديودوروس الصقلي كان أول من ذكر أن ميدوسا وأختها الجورجونات كانت ملكات حاكمات في منطقة بحيرة تريتون بشمال أفريقيا والمعروفة لدى اليونانيين باسم ليبيا (D. S. Bibliothecae, 3.55.3)، ومن بعده جاء أوفيدوس (٤٣ ق.م - ١٧م) وربط بين ميدوسا وليبيا، وقال بأن ميدوسا هي مصدر الثعابين في ليبيا خاصة بعد أن قطع بيرسيوس رأسها، فقد تحولت قطرات دمها التي سقطت على الأرض إلى ثعابين (Ov. Met., IV, 617-620). انظر:

Dexter M. R., Op. Cit., p. 27-30.

⁴⁵ - FGH 566 f 8 i.

⁴⁶ - Leigh M., Op. Cit., p. 95. Note 2; Cf., Polyb., I 2.3.i-6; Did. Sic., 3.50.I-51.5, Strab., Geog. 17.3.I, Plin., HN 5. 26.

صلاح السيد عبد الحي

رغم أن إشارة لوكانوس إلى ثعابين serpentes لييبا بأنها قاتلة letiferis قد أظهرت مدى تأثيره بما أورده كل من ساللوستيوس ومن قبله أبولونيوس الرودى، إلا أنها قد منحت وصفاً دقيقاً لمدى أثر تلك الثعابين فى واقعة مرور كاتو بالصحراء الليبية خاصة وأنها استدعت إلى المشهد ليس بحارة السفينة أرجو فقط ولكن أيضاً كلاً من الإسكندر وهرقليس. وقد أظهرت تلك اللوحة التى رسمها لوكانوس مدى تأثيره بشخصية الإسكندر أكثر من تأثيره بشخصية هراقليس وذلك لأن الأول شخصية واقعية مثل بطله كاتو بينما الثانى بطل أسطورى يسعى إلى الحصول على تقاحات ذهبية أسطورية^(٤٩). وقد بدا هذا جلياً من تصوير لوكانوس لحداثق هسبيريديس الجدياء المفقرة، تلك الحداثق التى كانت غنّاء مثمرة عند أبولونيوس من قبل^(٥٠)، وعلى إثر هذا جاء حديث لوكانوس عنها بمثابة قطعة شعرية حزينة عن مجد قديم^(٥١)، وقد بدا هذا من توظيف المفردات مثل: أحيانا quondam وكان fuit وغيرها، (IX, 357. quondam; IX, 358. Hesperidum pauper spoliatis frondibus hortus; IX, 360. fuit; IX, 366. passusque inopes sine pondere ramos.)^(٥٢).

= A. R., Arg. IV.1433. ὀκύντατος; IV.1436-1437.

Ανήρ ὀλοώτατος ὕβριν καὶ δέμας.

وانظر أيضاً A.R., Arg., I.1261-1272.

^{٤٩} - تُشير رمزية حصول هراقليس على ثلاث تقاحات ذهبية عند أبولونيوس الرودى إلى تحرره من الغضب وحب المال وحب المتعة. انظر:

Leigh M., Op. Cit., p. 107.

⁵⁰ - Luc. BC., IX, 357-367

⁵¹ - Maes Y., Op. Cit., p. 657-658; Leigh M., Op. Cit., p. 108.

⁵² - Maes Y., Op. Cit., p. 664. Note: 20, 21.

التأثيرات الكلاسيكية فى تصوير الصحراء الليبية

ومن ثم فإن أى شىء جميل هو مجرد ذكرى من الماضى، وذلك مثل وصف هوميروس لها بأنها كالجنة الفيحاء، إلا أنها الآن عند لوكانوس مجرد ثعابين، وعطش، وحرارة شديدة، ورمال serpentes, sitis, ardor, harenae.

الخاتمة:

وختاماً يمكن القول إن وصف لوكانوس للصحراء الليبية وإعادة صياغته للواقعة التاريخية لعبور كاتو الصحراء الليبية عام ٤٨ ق.م فى صورة أدبية قد أظهر مدى إلمامه بالتراث اليونانى الرومانى ، التاريخى منه والأسطورى.

فلم يهمل لوكانوس أية إشارة أدبية أوردها السابقون عليه من اليونان والرومان بشأن وصف الصحراء وما يعانیه العابرون لها إلا وقد أوردها أو تأثر بها؛ فمن مرور تاريخى معلوم قام به كل من الإسكندر الأكبر وأوفيلّاس وماريوس وقمبيز، إلى مرور أسطورى قام به كل من هراقليس وبيرسیوس وبحارة السفينة أرجو.

لقد حشد لوكانوس الكثير من اللوحات الدرامية المسرحية لتصويره وتسجيله الحدث التاريخى لعبور كاتو الصحراء الليبية ، حتى صار وصفه بمثابة المصدر الأهم والأشهر عن تلك الواقعة التاريخية وذلك العبور.

لقد جعل لوكانوس من عبور الصحراء الليبية ومواجهة الموت فيها لما تزخر به من شح المياه والعطش وشدة الحرارة والطقس المناخى غير المستقر والثعابين القاتلة بمثابة القيام بزيارة مقدسة لمكان مقدس، أو بمثابة الحج ، وإعادة التأهيل لمواجهة أعباء الحياة ومخاطرها.

وكما اهتم لوكانوس بتجميع كل ما سبقه من إشارات ، يونانية كانت أو لاتينية، عن عبور الصحراء ووصف ما بها من مهالك وأخطار ، فقد اهتم أيضاً بتجميع كل

صلاح السيد عبد الحي

ما تم ذكره بشأن انتشار الثعابين بالصحراء الليبية ، حتى خرج هو بنتائج جعلت من مدوناته المصدر الأهم والأشهر الموثق على الإطلاق لوصف الصحراء الليبية. وإن كانت ليبيا لديه هي صحراء جدباء موحشة شديدة الحرارة مليئة بالثعابين والعطش والموت.

مصادر ومراجع البحث

أولاً: المصادر:

- Apollonius Rhodius, *Argonautica*, Translated by R. C. Seaton, *LCL.*, 1912.
- Cicero, *De Officiis*, translated by Walter Miller, *LCL.*, 1913.
- Cicero, *The Letters to His Friends*, translated by W. Glynn Williams, 3 vols. *LCL.*, 1927–1929.
- Diodorus Siculus., *Library of History*, Translated by C. H. Oldfather, Vol. II, *LCL.*, 1935; Vol, VIII. Translated by C Bradford Welles, 1963; Vol. X. Translated by Russel M. Geer, 1947.
- Euripides, *Ion*, Vol. IV, Translated by David Kovacs, *LCL.*, 2000.
- Herodotus, *The Persian Wars*, Translated by A. D. Godley, *LCL.* Volume II, 1921.
- Hesiod, *Homeric Hymns. Epic Cycle. Homerica*, Translated by Huge G. Evelyn-White, *LCL.*, 1914.
- Homer, *The Iliad*, 2 Volumes, Translated by A. T. Murray, *LCL.*, 1924, 1925.
- Homer, *The Odyssey*, 2 Volumes, Translated by A. T. Murray, Revised by George E. Dimock, *LCL.*, 1919.
- Lucan, *The Civil War (Pharsalia)*, translated by, J. D. Duff, *LCL.*, 1928.
- Ovid, *Metamorphoses*, Vol. III, Translated by Frank J. Miller, *LCL.*, 1916.
- Pindar, *Olympic Odes, Pythian Odes*, Vol. I, Translated by William H. Race, *LCL.*, 1997.
- Plato, *Timaeus*, Vol. IX, Translated by R. G. Bury, *LCL.*, 1929.

التأثيرات الكلاسيكية في تصوير الصحراء الليبية

- Pliny, Natural History, Vols. V, VIII, Translated by H. Rackham, *LCL.*, 1940, 1942.
- Plutarch, Cato the Younger, in *Lives*, translated by Bernadotte Perrin, 13 vols. *LCL.*, 1914–1926.
- Polybius, Histories, Vol. I, Translated by W. R. Paton, *LCL.*, 1922.
- Q. Curtius Rufus, History of Alexander, Vol. I, Translated by John C. Rolfe, *LCL.*, 1946.
- Seneca: Epistles, Vol. V, Translated by R. M. Gummere, *LCL.*, 1920.
- Strabo, Geography, Vol. VIII, Translated by Horace L. Jones, *LCL.*, 1932.

ثانياً: المراجع:

(أ) المراجع العربية:

توريرت مصطفى: الحرب الأهلية الثانية (٤٩-٤٤ ق.م) وانعكاساتها على
نوميديا، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع
والتاريخ، العدد رقم ٢، ديسمبر ٢٠١٧، جامعة معسكر؛
الجزائر، ص ص ١٩٩-٢١٩.

فوكس وبيرن: الإسكندر الأكبر، سلسلة أعلام ومشاهير. الإسكندرية: دار ومطابع
المستقبل، بيروت: مؤسسة المعارف، د.ت.

(ب) المراجع الأجنبية:

- Bassett E. L., Regulus and the Serpent in the Punica , *CPh.*, Vol. 50, No. 1 (Jan. 1955), pp. 1-20.
- Bexley, E. M. 'The myth of the Republic: Medusa and Cato in Lucan Pharsalia 9.', in *Lucan's Bellum civile: between epic tradition and aesthetic innovation*. Berlin; New York: De Gruyter, 2010, pp. 135-153.
- Bloedow E. F., Egypt in Alexander's Scheme of Things, *QUCC.*,

- New Series, Vol. 77, No. 2 (2004)*, pp. 75-99.
- Bruère R. T., "Lucan and Petrarch's Africa", *CPh.*, Vol. 56, No. 2 (Apr. 1961), pp. 83-99.
 - Dexter M. R., "The Ferocious and the Erotic: Beautiful Medusa and the Neolithic Bird and Snake", *JFSR.*, Vol. 26, No. 1, (Spring 2010), pp. 25-41.
 - Dick B. F., "Fatum and Fortuna in Lucan's *Bellum Civile*", *CPh.*, Vol. 62, No. 4 (Oct. 1967), pp. 235-242.
 - Fantham E., "Lucan's Medusa-Excursus: Its Design and Purpose", *MD.*, No. 29 (1992), pp. 95-119.
 - George D. B., "Lucan's Cato and Stoic Attitudes to the Republic", *CIAn.*, Vol. 10, No. 2 (Oct. 1991), pp. 237-258.
 - Gorman V. B., "Lucan's Epic *Aristeia* and the Hero of the *Bellum Civile*", *CJ.*, Vol. 96, No. 3 (Feb.- Mar. 2001), pp. 263-290.
 - Griffin M. T., "Seneca on Cato's Politics: Epistle 14. 12-13", *CQ.*, Vol. 18, No. 2 (Nov. 1968), pp. 373-375.
 - Huber M., *The Eleventh Labor: The Apples of the Hesperides*, Chapter 11 in *Mythematics: Solving the Twelve Labors of Hercules*, Princeton University Press. (2009), pp. 118-133.
 - Kebric R. B., "Lucan's Snake Episode (IX. 587-937): A Historical Model", *Latomus*, T. 35, Fasc. 2 (AVRIL-JUIN 1976), pp. 380-382.
 - Leigh M., "Lucan and the Libyan Tale", *JRS.*, Vol. 90 (2000), pp. 95-109.
 - Long A., "Lucan and Moral Luck", *CQ.*, *New Series*, Vol. 57, No. 1 (May. 2007), pp. 183-197.
 - Lounsbury R. C., "History and Motive in Book Seven of Lucan's *Pharsalia*", *Hermes*, 104. Bd., H. 2 (1976), pp. 210-239.
 - Maes Y., "One but not the Same? Cato and Alexander in Lucan's *Pharsalia* 9, 493-618 (and Caesar too)", *Latomus*, T. 68, Fasc. 3 (September 2009), pp. 657-679.
 - Makowski J. F., "Oracula Mortis in the *Pharsalia*", *CPh.*, Vol. 72, No. 3 (Jul. 1977), pp. 193-202.
 - Malamud M., "Pompey's Head and Cato's Snakes", *CPh.*, Vol. 98, No. 1 (January 2003), pp. 31-44.

التأثيرات الكلاسيكية فى تصوير الصحراء الليبية

- Margo Kitts, "Two Expressions for Human Mortality in the Epics of Homer", *HR.*, Vol. 34, No. 2 (Nov. 1994), pp. 132-151.
- Morford M. P. O., "The Purpose of Lucan's Ninth Book", *Latomus*, T. 26, Fasc. 1 (JANVIER-MARS 1967), pp. 123-129.
- Robinson C. A., "The Extraordinary Ideas of Alexander the Great", *AHR.*, Vol. 62, No. 2 (Jan. 1957), pp. 326-344.
- Russell P., "Epigram, Pantheists, and Freethought in Hume's Treatise: A Study in Esoteric Communication", *JHL.*, Vol. 54, No. 4 (Oct. 1993), pp. 659-673.
- Sanford E. M., "Lucan and Civil War", *CPh.*, Vol. 28, No. 2 (Apr. 1933), pp. 121-127.
- Saylor C., "Curio and Antaeus: The African Episode of Lucan, Pharsalia 4", *TAPA.*, 112, (1982), 169-177.
- Steadman J. M., "Chaucer's Desert of Libye, Venus, and Jove (The House of Fame, 486-87)", *MLN.*, Vol. 76, No. 3 (Mar. 1961), pp. 196-201.
- Swain S., "Plutarch's Lives of Cicero, Cato, and Brutus", *Hermes*, 118. Bd., H. 2 (1990), pp. 192-203.
- Wolloch N., "Cato the Younger in the Enlightenment", *MPh.*, Vol. 106, No. 1 (August 2008), pp. 60-82.